

دور الشعراء الإيرانيين في الحوار بين الحضارتين الفارسية والعربية

الدكتور على باقر طاهري نيا^١

انى وإياك كالصاى رأى نهلا وعنده هوة يخشى بها التلفا
رأى بعينيه ماء عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا^٢

إن حوار الحضارات كان ولم يزل ضرورة الحياة وحاجة العصر. ومهما اختلفت التعاريف فى تحديد اطار «الحوار» وأسبابه وعناصره إلا أنه لا ينبغي أن يكون ثمة شك فى أن مختلف الأمم قد مارست الحوار تلبية لرغبة ذاتية وحاجة نفسية، ولو لم يكن عن إرادة قصد التسمية بـ «حوار الحضارات»؛ لذاك نرى من «أوغل فى التاريخ ليفرش أرضية يقوم عليها موضوع حوار الثقافات فأرجع الريادة فى هذا المجال إلى الإسكندر المقدونى (فى القرن الثالث قبل الميلاد) الذى صمم مشروع حوار الحضارات»^٣.

هذا، وإن مما لا شك فيه أن حضارة الفرس العريقة^٤ بما لها من معالم قد أثرت فى الحضارة العربية فى فترة من الزمن كما تأثرت بها فى فترة أخرى. إنما «أينا الفرس يسيطرون بحضارتهم على حياة الشعر والشعراء فإذا تلك الحياة تطبع بطوابع قوية من المجون واللهو وأخذوا ينقلون تراثهم الأدبى والفارسى بكل ما فيه من معتقدات دينية عرفت بين آبائهم»^٥. وهذا التأثير وذاك التأثر هو الذى يسمى اليوم بالتبادل الحضارى المبني على الحوار المتبادل وإن لم يسم حوارا حضاريا.

الاصطلاحات الرئيسية: الحوار، الحضارة، الشعر، النثر، الأدب، اللغة العربية، اللغة الفارسية.

^١ .امتنان مساعد فى جامعة أبى على سيناء فى همدان

إن الأدب بنوعيه- شعرا ونثرا- كفن جميل بل من أجمل الفنون، له دور هام في مجال حوار الحضارات. أما الشعر بما أنه يؤثر ويتأثر بالمظاهر الاجتماعية فهو يساعدنا كثيرا كي نبحث فيه عن مستوى الحوار ومظاهره بناء على أن دور الشعراء في التبادل الحضاري لا يقل كثيرا عن الكتاب والمؤلفين فهذا البحث يكون وراء كشف القناع عن عدة مظاهر للحوار والتبادل خلال البحث في أشعار شعراء الفرس الذين «نشأوا نشأة فارسية وتأدبوا بالأدب الفارسي ثم صاغوا أدبهم في قالب العربي وأحكموا التقليد»^٢.

ومن المعلوم أن من تربي ونشأ نشأة فارسية فلا بد أن يتأثر بالثقافة الفارسية وحضارتها، ولو كانت نه موهبة شعرية فلا بد أن يدخل مظاهر التأثير في أبياته الشعرية. وبما أن أهم ميزات الحضارة الفارسية هي تجليها في ظل الحكم، البلاط، العيش، الحضر، الحاكم، كثرة الحواشي... من هنا رأينا الشاعر يركز عليها في شعره باللغة العربية، هذا مما نقصده من الحوار بين الحضارتين.

هذا، وإن من أبرز الظواهر الأدبية في مفتح العصر العباسي التجديد عند الشعراء المولدين ومنهم: ١- أبو نواس^٣ الذي قد حمل راية الهجمة على الشعر القديم المألوف حيث أنه لم يخضع أمام الوقوف والاستيقاف بل أخذ يسخر منه ومن أصحابه. هذه الهجمة التي يحق لنا- أن نسميها «الثورة النواسية» قد وضعت على طاولة البحث الأدبي على تنوع فيه مرارا إلا أننا ننظر إليها ههنا نظرة قد تكون جديدة وهي أن الثورة النواسية حوار حضاري أكثر من أن تكون عصبية شعرية عمياء، فهو ينشد:

دع الأطلال تسفيها الجنوب
وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا
تخب بها النجيب والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولا عيشا فعيثهم جديب
دع الألبان يشربها رجال
رفيق العيش بينهم غريب^٤

ومن الشواهد الدالة على أن هذا التصريح هو لون حوارى هو

أولاً: قول المؤرخ الأدبي الدكتور شوقي ضيف حيث صرح بأننا «إذا تركنا بشارا إلى الجيل التالي المعاصر للبرامكة في زمان الرشيد وجدنا هذه الشعوبية تشتد إذ ازدادت أثر الشعراء بالحضارة الفارسية المادية ودفعهم ذلك إلى التمرد على التقاليد العربية والإسلامية فخرجوا على عادات العرب الاجتماعية ونظم الإسلام وقوانينه، ولعل أبا نواس خير من يمثل هذا الجيل وأغلب الظن أن ثورته لم تكن ثورة جنسية بل كانت ثورة حضارية من نوع خاص ثورة الحضارة الفارسية وكل ما اتصل بها من خمر ومجون على العرب وحياتهم الإسلامية»^٥.

ثانياً: قول المؤرخ الأدبي عمر فروخ حيث صرح بأن أبا نواس «كان يهجو الأعراب ومستوى معيشتهم لا العرب وأمجادهم»^٦.

إن لم يكن أبو نواس يسخر من البكاء على الأطلال إلا متأثرا بالحضارة الفارسية التي كان أكبر ميزاتنا الحكم أو البلاط البعيد عن الأطلال البالية والدمن

الخالية فمهما خالف هذا الطريق المطروق فإنه مبعوث حضارة تلعب كلمات من مثل البلاط، الملكية، الوزارة، الترف... فيها الدور الرئيسي.

٢- إن إنشاد القصائد المعارضة كان ولم يزل معروفاً عند الشعراء ومهما اضطبغت هذه المعارضات بصبغة مظاهر الحضارة والثقافة يمكننا أن نعتبرها من ألوان الحوار الحضاري على ألسن الشعراء إذ أن كلا من الطرفين يصور ما عنده ويعارض ما عند الطرف الآخر. ومن أصحاب المعارضات أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي الذي تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين^{١١} فهو قد أنشد قصيدة واستلهم من الخمرية المعروفة لابن الفارض المصري حيث أثبت لها ما أثبتته ابن فارض للخمرية. وجعل الأدب عديل الخمر الإلهي في التأثير. إن الأدب في هذه القصيدة يشفي الأكمه والمدنف كما كان الخمر يشفي:

يقول القاضي:

وقصيدة ألفاظها

في النظم كالدر والنثير

لو قابلت أعمى لأضحى

و ذو طـرف بصير^{١٢}

قال ابن الفارض:

ولو جليت سرا على أكمه غدا

بصيرا ومن راووقها تسمع الصم^{١٣}

قال القاضي:

أو كالسقاء لمدنف

أو كالغنى عند الفقير

قال ابن الفارض:

ولو طرحوا في فيء حانظ كرمها

عليلا وقد أشفى لفارقه السقم

٣- أبو إسماعيل الحسين المعروف بالطغرائي

(٤٥٣- ٥١٣ هـ ق) الذي استوزره السلطان مسعود

السلجوقي وأصبح ينعت بالمنشي^{١٤}، له ديوان شعر

كبير أكثره في المدح وخير قصائده مشهور بلامية

العجم معارضا للامية العرب^{١٥}، قالها ببغداد يندب

الزمان ويشكو الإخوان أثناء عطلة من العمل. إن لامية

العرب حفلت بالأفكار الثائرة على القيم الاجتماعية

المتناقضة كما كانت تعلم

مكارم الاخلاق ولامية العجم «حافلة بالحكمة مفعمة

بالتجربة العقلية الصادرة من رجل حنكته السنون

والتقلبات السياسية»^{١٦}. إذن كان الشنفرى ثائرا

والطغرائي حكيما، كما كانت لامية العرب صورة

تعليمية ولامية العجم تجربة عقلية.

في حين أن الشنفرى ينكر في وجوده السلبيات

ويكرر كلمة «لست» وأكثر من مرة نرى الطغرائي

المتزعزع في الحضارة الإسلامية الفارسية يفخر

بأصالة الرأي وولية الفضل ويثبتهما لنفسه وبهذا يدعو

إلى إيجابيات وجدها في نفسه:

قال الشنفرى:

لست بمهيف يغشى سوامه

مجدعة سقبانها وهي بهل

ولست بعل شره دون خيرد

ألف إذا ما رعته اهتاج أعزل

ولست بمحيار الظلام إذا انتحت

هدى الهوجل العسيف يهما هوجل^{١٧}

قال الطغرائي:

عنى جميع العرب

بأننى ذو حسب

عال على ذى الحساب

جدى الذى أسموه

كسرى وساسان أبى

وقيصر خالى اذا

عددت يوما نسبى^{٢١}

وهذه التعابير التى اعتبرها الأدباء من مظاهر الشعوبية تقع بكل سهولة و وضوح فى ظل الحوار الأدبى بما له من ميزات خاصة. حيث يحصى مواضع الفخر أولا،

ويذكر أسماء الملوك على عادة الفرس ثانيا، ويخاضب العرب ثالثا.

٥- للتقاليد الإيرانية فصل فى أدب الشعراء إذ أخذوا يصفونها باللغة العربية ويصورونها. منها النيروز الذى يحتفل به الإيرانيون منذ قديم الأزمنة وهو عيد رأس السنة أى أول الأيام الربيعية. هذا، وإن الذى أدخلوه فى الشعر العربى قد يكون صورة صادقة عن الثقافة الإيرانية فى الأدب العربى.

أبو الفتح ذوالكفايتين (ت ٣٦٦ هـ ق) بشر به وبالفجر لمجيبه كما صرح بما يدعو به المحتفلون بذكره فأننيروز بشير السعادة والبركة وصورته فى الشعر العربى لون من التبادل الحضارى:

أبشر بنيروز أتاك مبشرا

بسعادة و زيادة و دوام

وأشرب فقد حل الربيع نقابه

عن منظر متهلل بسام^{٢٢}

٦- التعبير عن المشاعر الصادقة لما أصاب

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل

وحلية الفضل زانتنى لدى العطل^{٢٣}

مجدى أخيرا و مجدى أولا شرع

والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل

فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى

. بها ولا ناقتى فيها ولا جملى

٤- القصائد الداريات نموذج آخر من مظاهر الحوار

الأدبى. هذه القصائد هى التى كان الشعراء ينظمونها فى وصف دار بناها صاحب بن عباد لتكون عرضة لوصف الشعراء. فهذه ظاهرة لها وجهان وجه يفسر لنا رغبة الأديب الوزير فى التنشيط الأدبى والإنشاد الشعرى و وجه يشير إلى الفن والمهارة فى البناء اللذين هما من مظاهر الحضارة والثقافة.

أبو بكر الخوارزمى (ولد سنة ٣٠٣ هـ ق) كان من أصحاب القصائد الداريات لكنه لم يكن يصف بل كان يذكر الحركة الأدبية والعلمية التى يستقطبها صاحب بن عباد كما كان يصف الندوات الأدبية:

هى الدار أمست مطرح العلم فاعتدى

لها ناهل الأمال ريان ناهلا

إذا ما انتحاهما الركب لم يتظلبوا

إليها دليلا عمّن كان قافلا^{٢٤}

إن المفاخرة من عناصر الحوار، حيث نجد الطرف المحاور يحصى مواضع الفخر خوفا من أن يقع غرضا للهجمة الحضارية وحرصا على الاحتفاظ بالمفاخر القديمة. هذا بشار بن برد^{٢٥} المكنى بأبى معاذ والملقب بالمرعث «كان شديد التعصب للعجم»^{٢٦}، أنشد لنا حوارا فى ثوب الفخر إذ يقول:

هل من رسول مخبر

الهوامش

- ١- في الشعر الإسلامي والاموي؛ ص ١٠٤.
- ٢- حوار الثقافات أم إلغاء الهويات؛ ص ٢.
- ٣- هذا وإن مؤلف حوار الحضارات بين الواقعية والضموح لم يذكر أن الحضارة الفارسية من بين أسماء الحضارات وما رأى لها وللحضارة العربية تبادلًا خلال دراسته للموضوع، نقلًا عن مجلة الموقف الأدبي؛ العدد ٣٧٢.
- ٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي؛ ص ١٠٩.
- ٥- فجر الإسلام؛ ١١٥.
- ٦- الحسن بن هاني بن عبد الأول المكنى بأبي نواس ولد سنة ١٤٥ هجرية بقرية من قرى الأهواز وتوفي سنة ١٩٩ هجرية، مما يخطر في البال عند مناقشة الأدب النواصي إنما هو ظاهرة الغزل المذكر التي قد وقعت عرضة للبحث من قبل الباحثين في نشأتها وأسبابها لكنني أؤيد الدكتور عمر فروخ وأصرح بأنه لا يجدر بنا أن نناقش الغزل المذكر وتأثره بالحضارة الفارسية أو الثقافة العربية لأن الناتج كيفما يكن لا يغني ولا يضمن بل يتهتك ويستهتر.
- ٧- ديوان أبي نواس؛ ص ٣٢.
- ٨- الفن ومذاهبه في الشعر العربي؛ ص ٩١.
- ٩- تاريخ الأدب العربي؛ ج ٢، ص ١٥٩.
- ١٠- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر؛ ج ٢، ص ٣٣٦.
- ١١- نفسه؛ ج ٢، ص ٣٤٣.
- ١٢- ديوان ابن الفارض؛ ص ٨٢.
- ١٣- تاريخ الأدب العربي؛ ص ٣٢٦.
- ١٤- «يبدو أن اسم لامية العرب تسمية متأخرة وجدت لما كثرت اللاميات»، «فكل المصادر سكنت عن

الحضارة الإسلامية له طابع حوارى في ما يشكو منه العالم الإسلامي من الفرس والعرب. فمهما وجدنا الشاعر الفارسي يذرف دموع الأسى بالكلمات معناه حوار للمشاطرة. هذا الأديب الكبير الذي له مكان في الأدب رفيع يغنيننا عن التفصيل والبيان، عبر عن رغبته في بيان ما مر على الحاضرة العباسية من كارثة عظيمة لا تزال تدخن نيرانها في العالم الإسلامي: نسيم صبا بغداد بعد خرابها

تمنيت لو كانت تمر على قبري
لأن هلاك النفس عند أولى النهى
أحب له من عيش منقبض الصدر
لزممت اضطبارا حيث كنت مفارقا
وهذا فسراق لا يعالج بالصبر
لقد شكلت أم القرى وللكعبة
مدامع في الميزاب تسكب في الحجر^{٢٣}
٧- لو تأملنا في مضامين هولاء الشعراء نجد تعابير تدل على نظام الحكم الإيراني وهو نظام ملكي في عهودهم.
وعمد الدين الكاتب الإصبهاني^{٢٤} من هولاء الشعراء حيث صرح بنظام التاج وهو يقول:
أحبسك الله إذ لازمتم نصرته

على جبين بتاج الملك معصوب^{٢٥}
وتاج الدولة الدينمي شاعر عباسي آخر أنشد قصيده يتخللها:

أنا ابن تاج الملة المنصور
تاج الدولة المرجو المناقب
أسماؤنا في وجه كؤ درهم
وفوق كؤ منبر لخاطب^{٢٦}

٢- ابن خلكان؛ وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان؛ حققه إحسان عباس، قم، منشورات الرضى، ١٣٦٤ هـ.ش.

٣- الثعالبي، أبو منصور؛ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر؛ القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٥ هـ.ش.

٤- تويسركاني، قاسم؛ عدد من بلغاء إيران في لغة العرب؛ تهران، جامعة تهران، ١٣٣٦ هـ.ش.

٥- خوري، رثيف؛ التعريف في الأدب العربي، لبنان.

٦- ديوان أبي بكر الخوارزمي؛ حققه حامد صدقي، تهران، أئينه ميراث، ١٣٧٦ هـ.ش.

٧- ديوان أبي نواس، شرحه على العسيلي، بيروت، مؤسسة النور للمطبوعات، ١٤١٧ هـ.

٨- ديوان ابن فارض، بيروت، المكتبة الثقافية.

٩- الزيات، أحمد حسن؛ تاريخ الأدب العربي؛ شیراز، الجامعة الحرة، ١٣٧٣ هـ.ش.

١٠- فروخ، عمر؛ أبو نواس شاعر هارون الرشيد ومحمد الأمين؛ بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨ هـ.

١١- فروخ، عمر؛ تاريخ الأدب العربي؛ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧ م.

١٢- كفاني، محمد؛ تراث فارسي؛ دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م ١٣- القط، عبد القادر؛ في الشعر الإسلامي والأموي؛ بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٧ هـ.

١٣- القط، عبد القادر؛ في الشعر الإسلامي والأموي؛ بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٧ هـ.

١٤- كليات شيخ سعدى، تحقيق محمد علي فروغى، طهران، طبع محمد علي علمي، ١٣٣٤ هـ.ش.

ذكر تسمية لامية العجم وإذا سمحت لنفسى بالاجتهاد في سبب التسمية أقول: لأن القصيدة قيلت في بغداد وهي من بلاد العرب إلا أن الشاعر مولود بإصبهان وهي من بلاد العجم لذا سميت نسبة إلى مسقط رأس قائلها»، قراءة في لاميات الأمم، محمود الربداءوى، ص ٥ و ٩، مجله التراث العربى، العدد ٨٣- ٨٤.

١٥- نفسه؛ ص ١٠.

١٦- المجانى الحديثة؛ ج ١، ص ٧.

١٧- نفسه؛ ج ٣، ص ٣٣٩.

١٨- ديوان أبي بكر الخوارزمي؛ ص ٣٧٦.

١٩- بشار بن برد (٩١ - ١٦٧ هـ) كان في المولدين كامرئ القيس في الجاهليين والبارودى في المحدثين.

٢٠- عدد من بلغاء إيران في لغة العرب؛ ص ٢١.

٢١- الفن ومذاهبه في الشعر؛ ص ٦٨.

٢٢- عدد من بلغاء إيران في لغة العرب؛ ص ٧٣.

٢٣- كليات شيخ سعدى الشيرازي؛ ص ٤٤٨.

٢٤- هو أبو عبد الله محمد صفى الدين المعروف باله (لفظ أعجمى بمعنى العقاب) قد نشأ بإصبهان و ولد سنة ٥١٩ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ.

هـ.ق، نقلًا عن وفيات الأعيان، ابن خلكان، ص ١٤٧ و ١٥٢.

٢٥- عدد من بلغاء إيران في لغة العرب، ص ١٨٥.

٢٦- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج ٢، ص ٢٢١.

المصادر والمراجع

١- أمين، أحمد؛ فجر الإسلام؛ بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٧٥ م.

من الأساتذة، بيروت، دار المشرق.

١٥- ضيف، شوقي؛ الفن ومذاهبه في الشعر

العربي؛ مصر، دار المعارف.

مصادر مستخرجة من الإنترنت

١٦- ندا، طه؛ الأدب المقارن؛ بيروت، دار النهضة

العربية، ١٤١٢هـ.

١- مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٨٣- ٨٤.

٢- مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٣٧٢.

١٧- المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو، لجنة

٣- مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٣٦٨.

نقش شاعران ایرانی عربی سرا در گفتگوی

میان تمدنهای ایران و عرب

دکتر علی باقر طاهری نیا^۱

گفتگوی میان تمدنها از دیر باز یک ضرورت بوده و است. تعاریف مختلفی که در خصوص تعیین چارچوب «گفتگو»، عوامل و عناصر آن ارائه شده است هر چند به ظاهر متنوع می باشد ولی نباید تردید نمود که ملتها در راستای یک انگیزه درونی و برآوردن نیازی ذاتی به این موضوع پرداخته اند، اگرچه با ازنه خاص و تحت عنوان گفتگوی تمدنها انجام نگرفته باشد. بر همین اساس ولید مشوح می گوید: کسانی که سعی کرده اند تا با تورق در تاریخ به پیشینه موضوع گفتگوی تمدنها دست یابند سابقه آن را به اسکندر مقدونی - قرن سوم قبل از میلاد - باز می گردانند.

بدون شک تمدن کهن فارسی در برهه ای از زمان بر تمدن عربی تأثیرگذار بوده است. «ایرانیان با اتکا به تمدن خود بر شعر و شعرای عرب احاطه پیدا کرده و میراث ادبی - ایرانی و اعتقادات خود را منتقل نموده اند». این تأثیر و تأثر همان چیزی است که امروزه از آن به گفتگو و تبادل نام می بریم. در این میان ادبیات و بخصوص شعر، نقشی انگارناپذیر ایفا نموده است لذا در این نوشتار به تحلیل و کندوکاو نقش شعرای ایرانی عربی سرا پرداخته است که با زبان شعر به تبادل و گفتگوی ادبی، فرهنگی و تاریخی پرداخته اند.

کلید واژگان: گفتگو، تمدن، شعر، نثر، ادبیات، زبان عربی، زبان فارسی

^۱ استادیار دانشگاه ابوعلی سینا همدان